أسس الأمن فى المجتمع

obeikandl.com

obeikandl.com

أسس الأمن فى المجتمع

الأمن ضد الخوف ، ولذا يقال : أمن فلان أمناً وأماناً ، إذا لم يخف ، وقد أمنته ، ضد أخفته . والرجل الآمن : هو من يطمئن إلى كل واحد ويثق بكل أحد ، والبلد الآمن : هو من يطمئن به أهله . ويشير المفهوم العام للأمن إلى عدم توقع المكروه فى الزمن الآتى ، ويتضمن هذا المفهوم عدة عناصر متكاملة :

الأول : أن الأمن تعبير عن سنة إلهية ، من حيث أنه لا يخرج عن سنن الله فى خلقه ، وفى تدبيره للكون ، وتسييره للحياة ، وهو بهذا نعمة من النعم التى يضفيها الله على الكائنات الحية .

الثانى : أن الأمن حالة شعورية ، إذ لا قيمة له إن لم يوجد الإحساس به ، ويتولد الشعور بأن ثمة فارقاً بينه وبين الخوف .

الثالث : أن طبيعة الأمن كإحساس أو شعور تستلزم كائناً حياً ، إنساناً أو غيره ، ولذلك حرص الإسلام على أن يلف الأمن حياة الإنسان ، وحياة الكائنات الحية الأخرى المسخرة لخدمته ومساعدته على أداء رسالته كخليفة الله فى الأرض .

الرابع : أن الأمن لكونه حالة شعورية هو اطمئنان إلى عدم وقوع مكروه فى الزمن الآتى ، أياً كان شكل ومصدر هذا المكروه ، فقد يصيب الدين ، أو العقل ، أو النفس ، أو العرض ، أو المال . وقد يصيبها كلها ، بيد أن عدم توقع المكروه لا يعنى أن الأمن حالة مستقبلية فقط ، ذلك أن من لا أمن له فى حاضره ، فلا أمن له فى مستقبله ، وإنما تنطلق الثقة فى أمن المستقبل من الإحساس الحقيقى بأن أمن الحاضر لا موضع للشك فيه .

الخامس : أن الأمن إذا كان لا ينفصل عن الزمن بحال من الأحوال فى الحاضر والمستقبل ، فهو أيضاً لا ينفصل عن المكان ، ويكفى فى هذا المقام بأن أهمية اعتبار المكان عاملاً أساسياً فى الأمن قد يفسر : لماذا ألصق الإسلام صفته — أى الأمن —

ببعض الأماكن المقدسة كـ : الحرم الآمن ، والبلد الآمن . [www.isesco.org]

الأمن نعمة يتمناها ويتوق إليها كل كائن حى ؛ إذ فى ظلها يتمتع بحياة هادئة ، حيث تهدأ أعصابه ، وتستقر أجهزته البيولوجية والنفسية ، فيشعر باستمتاع لا حد له ، ويمارس حياته بشكل طبيعى . هذا فيما يتعلق بالكائنات الحية عموماً ، أما ما يتعلق بالإنسان ، فالأمن ضرورى لحياته ، فبدونه لا يقوى على عملٍ بنَّاء ، ولا يستطيع الإسهام فى مسيرة التقدم ؛ إذ يعجز عن الإبداع والابتكار ، ويحول عدم الأمن بينه وبين التركيز فى مجال الفكر وآفاق الاكتشاف ، حيث يتركز جهده كله فى كيفية الخروج من أحواله المضطربة ، والبحث عن السبل التى تدفع عنه الأخطار المحيطة به ، ومحاولة تجميع قواه للوصول إلى ما يبتغيه ويتمناه ، **ألا وهو الأمن** .

ومما لا شك فيه أن الإنسان الذى تعتريه هذه الحالة لا يتمتع بحياة ، ولا يشعر باطمئنان ، ولذلك منَّ الله على عباده بالأمن ، طالباً منهم عبادته ، لأنه أنعم عليهم بالأمن ، فقال تعالى : ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾ ﴾ [قريش : ٣-٤]

ومن المعروف أن أمن الفرد جزء هام من أمن المجتمع ، إذ أن المجتمع يتكون من أفراد ، فإذا صلحت أعضاء المجتمع — وهم الأفراد — صلح المجتمع ، فأمن الفرد عنصر أساسى من أمن المجتمع ؛ إذ المجتمع الذى لا يتمتع أفراده بالأمن ، لا يقوى على مواجهة الأخطار المحيطة به ، بل لا يتمتع بمقومات الحياة ، ولا ينتظر منه إنجاز أى شيء فى أى مجال من مجالات الحياة ، فالعلم — وهو اللبنة الأولى فى بناء الحضارة — لا يزدهر إلا فى ظل الأمن ، والإنتاج الذى هو عصب التقدم لا يثبت وجوده فى عالم المنافسة إلا فى ظل الأمن . فالأمن عنصر أساسى فى حياة الأفراد والشعوب ، ولهذا ورد فى القرآن الكريم فى معرض الحديث عما أنعم الله به على الإنسان ، فقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ

﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام : ٨٢] ، وقال : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور : ٥٥]

فما هى العناصر التى يتحقق الأمن بوجودها ؟

بل ماهى الظروف والملابسات التى تساعد على وجود الأمن للفرد وللمجتمع ؟

لو استعرضنا الوسائل التى تؤدى إلى عالم يستتب الأمن فيه ، ويعيش أفراده مطمئنين لا يعتريهم خوف ، ولا يلامسهم وجل ، لوجدنا أنفسنا أمام أسباب عدة وعناصر متنوعة ، بعضها يتعلق بالفرد ، والبعض الآخر له صلة وثيقة بالنظم الاجتماعية ، وطبيعة الوضع السياسى ، وعلاقة الشعوب والدول بعضها ببعض فى ظل الوضع الدولى الراهن .ولهذا سوف نقتصر فى عرضنا هذا على أهم العناصر المؤثرة فى تحقيق الأمن ، سواء بالنسبة للفرد أو للمجتمع .

ويأتى الإيمان فى مقدمة الأسباب التى تؤدى إلى استقرار الأمن على جميع الأصعدة ، فالإيمان بالله يغرس الاطمئنان فى قلب المؤمن ، فتهدأ نفسه ، وفى هدوء النفس راحة للبال واستقرار الحياة ، يقول الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد : ٨٢]

ولا شك أن الاطمئنان أمل كل إنسان فى هذه الحياة ، إذ بدونه تصير الحياة جحيماً لا يطاق ، فمن يفتقده لا يهنأ بمال ، ولا يسعد بولد ، ولا يستسيغ جاهاً ولا سلطاناً ففى الاطمئنان أمان على النفس والمال والولد ، وضمان للمستقبل فى الحياة الدنيا ، وشوق إلى الحياة الآخرة ، لأن جزاءه فيها جنة عرضها السموات والأرض أعدت له ، لأنه اتقى الله ، فعمل ما أمر به ، واجتنب ما نهى عنه ، يقول الله تعالى : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا

صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ ﴾ [الفرقان : ٧٥-٧٦]

الإيمان حصن للفرد من تقلبات الدهر وعواصف الزمن ، وركيزة يرتكز عليها فى الأوقات العصيبة ، ويركن إليها إذا ادلهمت الخطوب ، واضطربت الأنواء ، فهو أمن وأمان للفرد ، يلجأ إلى المعبود فى أوقات الشدة ، وينادیه إذا شعر بالخوف ، أو أحس بالخطر ، ويناجيه إذا ألم به ضرر أو أحاط به ما يعكر عليه صفو حياته .

٢- تأمين مصادر الرزق : إن من أهم الأخطار - إن لم يكن أهمها - التى تهدد أمن الأفراد والشعوب ما يصيب مصادر الرزق من آفات وكوارث ، فيقللها أو يقضى عليها ؛ لأنها قوام الحياة ، وأساس الاستقرار ، فلو نضبت ، أو أصابها الوهن والضعف ، شاع الاضطراب فى المجتمع ، وتهدمت أركان الحياة الآمنة ، فلا أمن ولا استقرار ، بل تسود الفوضى ، وتنتشر الجريمة ، ويلف الهلع والفزع كل أفراد الأمة ، بل لن تكون هناك أمة ، بل عصابات وجماعات منتشرة تنتهك الحرمات ، وترتكب من الأعمال ما تقشعر منه الأبدان ، وترتعد من هوله الفرائص ، لأن الجوع كافر ، كما يقولون ، فالجائع لا يردعه رادع ، ولا تمنعه أى قوة - مهما كانت قدرتها - عن البحث بكل الوسائل عما يسد به ألم الجوع ، ويسكن به روع الغرائز التى أطلقها العوز من عقالها ، ولهذا اهتمت الحكومات بتدبير وسائل العيش لشعوبها ، حتى تحافظ على الأمن والاستقرار ، ومن هنا أطلقوا على هذا العمل مصطلح " الأمن الغذائى " ، لأن تحقيقه يسهم إلى حد كبير فى نشر الأمن فى جنبات المجتمع ، ويساعد على وجود الطمأنينة بين الأفراد ، ويسهم إلى حد كبير فى نشر أجنحة الأمن والأمان فى مجال الفرد والأسرة والمجتمع .

ومن هنا يجب على الحكومات إصدار القوانين التى تساعد على توزيع الثروة على أفراد الأمة ، بحيث لا تحرم طائفة فتموت جوعاً ، و تُتْخَم طائفة أخرى فيموت إحساسها ، فلا يلتفتون إلى المحتاجين والمساكين . فلكى لا يتركز المال فى أيدى طبقة محدودة فى المجتمع فرض الله عدة صور من شأنها تفتيت الثروة ، وإعادة توزيعها على أكبر عدد ممكن ليعتدل الميزان فى المجتمع ، فلا يميل إلى ناحية دون أخرى ، وليحصل كلٌّ على نصيب يساعده على مواجهة

مطالب الحياة ، كما أن فى هذا التوزيع إرضاء للمحرومين ، وإطفاء لنار الحقد لدى المحتاجين ، وفى ذلك استقرار لحياة المجتمع ، وأمن وأمانٌ لمن حُرِم من المال ، ونزع لفتيل ما يسمونه " ثورة الجياع " .

لقد أكد مؤتمر روما الذى عقد فى عام ١٩٩٦م بشأن الأمن الغذائى على حق كل إنسان فى الحصول على أغذية سليمة ومغذية بما يتفق مع الحق فى الغذاء الكافى والحق الأساسى لكل إنسان فى التحرر من الجوع .كما أكد على أن البيئة السياسية والاجتماعية والاقتصادية المواتية التى يسودها السلام والاستقرار هى الركيزة الأساسية التى تمكن الدول من إيلاء أولوية كافية للأمن الغذائى ولاستئصال الفقر ، وأن الديمقراطية وتعزيز وحماية حقوق الإنسان وحرياته الأساسية بما فيها الحق فى التنمية ، والمشاركة الكاملة والمتكافئة للرجال والنساء عوامل جوهرية لتحقيق الأمن الغذائى للجميع .

٣ – الحرية من أنجع الوسائل فى تحقيق الاستقرار فى المجتمع ، فلا استقرار بدون حرية ، فالأمن لا يتحقق إلا إذا أتيح لكل فرد أن يعبر عما فى نفسه ، ويفصح عما لديه من آراء وتصورات ، فقد بين الإسلام أن الله خلقَ الإنسان ، ومنحه الحرية فى سلوكه وتصرفاته ، فحرى بهذا المخلوق – بناءً على هذا العطاء الإلهى – أن يكون حرًا فى التعبير عن أفكاره ، وفى اعتناق ما يراه صالحاً لنفسه ومجتمعه ، وفى الإيمان بما يميل إليه عقله ويقتنع به ، فلا يجوز لأحد أن يصادر حريته فى هذا المجال ، وإلا أعطى لنفسه حقاً لم يشأ الله أن يستعمله مع خلقه ، وتصدى لطبيعة خلقها الله فى الإنسان ، وكبت غريزة لا تستقيم حياة الإنسان إلا بها ، ولا تصلح النظم الاجتماعية إلا بظهورها ، ولا تسير حياة الأمم فى مجراها الطبيعى إلا إذا تمتع أفرادها بهذه الحرية .

٤ – المساواة : لا أمن ولا أمان إذا ساد التميز بين الطبقات فى المجتمع على أساس اللون أو العرق أو العقيدة ، ولا اطمئنان للفرد إذا رأى أن النظام يسلبه حقه ، بينما يعطى الآخرين أكثر من حقهم ، أو أحس أن هناك تفاضلاً بين الناس على أساس الفئوية والشللية ، أو بناءً على انتمائه لعلية القوم ، أو لقربه من مراكز السلطة ، أو لاعتبارات فكرية أو عقدية ، فالناس سواسية ، لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى كما قال رسول الله ﷺ ، أى أن التفاضل بين

الأفراد يجب أن يقوم على أساس القدرات ، ويعتمد على ما يبذله الفرد من جهود فكرية أو عضوية ، كما أن من الحقوق الطبيعية أن يحصل الإنسان على ما يحتاج إليه مما سخره الله له ، فلا يجوز لأحد أن يحرمه من هذا الحق ، فليس لفرد أو فئة أن تستأثر بالموارد الطبيعية فى المجتمع بينما تحرم منها فئات أخرى ، وليس لإنسان أن يستحوذ على ما يرفع مستوى معيشته ، بينما يحتاج غيره إلى ما يسد به رمقه ، أو يملأ بطنه بأطايب الطعام والشراب ، بينما آخرون يقتلهم الجوع بعد أن يمروا بطريق طويل يذوقون فيه ألواناً من الحرمان وصنوفاً من آلام تتعرض لها أبدانهم العارية وبطونهم الخاوية ، وأجسادهم التى أصبحت مستعمرة للأمراض ، وموطناً لكل أنواع العلل والأسقام .

أكد الإسلام على هذين الأمرين : الحرية والمساواة فى حقوق الانتفاع بما سخره الله للإنسان لأنهما أساس العدل فى المجتمع الإنسانى ، ومصدر تقرير عزة الإنسان وكرامته ، وسياج المحافظة على إنسانية الإنسان ، فلا تهدر ، ولا تهان ، ولا يلحقها ما يشينها ، أو يحط من مكانتها التى بوأها الله إياها . فإذا تقرر هذا لدى ضمير المجتمع ، وحافظت عليه الحكومة ، واعترف به دعاة المذاهب والاتجاهات الفكرية , وآمن به كل فرد إيماناً راسخاً ، بحيث يكون مستعداً للدفاع عنه بكل ما أوتى من وسائل ، وما تيسر له من سبل ، لاختفت ظواهر الظلم ومعالم الاستغلال من المجتمع ، فلا ينال أحد أكثر مما يستحق ، ولا يحرم إنسان من حرية الحياة على نحو يحفظ عليه إنسانيته وكرامته ، ويومئذ يشعر المرء بالأمن والأمان ، والاطمئنان والاستقرار ، وذلك ما تهدف التعاليم الإسلامية إلى تحقيقه للإنسان فى الدنيا ، فضلاً عن مجازاته فى الآخرة على حسن عمله فى دنياه ، يقول الله تعالى : ﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٨]

٥ – العدل : إن من أخطر الأسباب التى تصيب الإنسان بالإحباط غياب العدل فى سن القوانين وإصدار اللوائح ، فعندما يميل المشرعون إلى تمييز فئة على أخرى فى وضع القوانين التى تضبط مسيرة المجتمع مراعاة لما لها من سيطرة وجاه ، أو لقربها من مراكز السلطة والسلطان ، أو لتمتعها بمركز مالى يفرض قوته على من يُشَرِّعون ، يصاب الإنسان بالاكتئاب ، ويفقد روح

الانتماء إلى المجتمع ، وقد يدفعه هذا الوضع إلى استخدام وسائل غير مشروعة للوصول إلى حقه ، أو للحصول على ما يراه ملكاً له سلبه إياه أصحاب القوة والنفوذ ، بل قد تصل هذه الوسائل إلى العنف ، إذا لم يجد أمامه وسيلة أخرى لنيل نصيبه من ثروات المجتمع ، أو فقد الأمل فى ممارسة عمل شريف يحصل منه على ما يقيم أوده ، ويحفظ له كرامته ، ويحمى أسرته من الهلاك جوعاً ، ولهذا عبر الفكر العالمى عن ضبط العدالة فى المجتمع برمز يوحى بأنها — أى العدالة — لا تفرق بين غنى وفقير ، ولا بين أمير وحفير ، وذلك بتعصيب عينى من يمسك بميزان العدالة حتى لا يتأثر برؤية الأطراف ، فيميل إلى ما يروق فى عينه ، فيعطيه ما لا يستحق ، أو يسلب أحداً حقه لمجرد ظهور ما ينفر منه على هيئته وشكله ، كما أن تعصيب العين إشارة إلى أنه لا يتأثر بصداقة أو عداوة ، ولا تؤثر فيه مظاهر المتخاصمين أو هيئاتهم ، فالكل أمامه سواء ، فهو لا يبغى إلا إعطاء كل ذى حق حقه ، وتوقيع العقوبة على كل من يتجاوز حدوده ، فيسلب حق الآخرين أو يعتدى عليهم .

وقد عبر القرآن الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرناً عن وجوب الالتزام بالعدالة ، مهما كانت صلة طرف أو آخر بمن يكلف بهذا الأمر ، فقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المائدة : ٨] ، " أى لا يحملنكم بغض قوم على أن تجوروا عليهم وتجاوزوا الحد فيهم ، بل اعدلوا فيهم وإن أساءوا إليكم ، وأحسنوا إليهم وإن بالغوا فى إيحاشكم ..... ومعناه : أمر الله جميع الخلق بأن لا يعاملوا أحداً إلا على سبيل العدل والإنصاف ، وترك الميل والظلم والاعتساف .. " [٦١] ، وقد تكررت كلمة العدل والحث عليه فى كثير من آيات القرآن الكريم ، وما ذاك إلا لأن العدل ركن أساسى ومهم فى بناء المجتمعات واستقرارها ، بل يساعد استقرار العدل إلى حد كبير فى تطورها وازدهارها .

---

[٦١]) الرازى : التفسير الكبير جـ ١١ صـ ١٤٢-١٤٣

ولا ينفصل عن ذلك التزام الدولة بتطبيق القوانين — التى شُرِّعت علىَ أساس العدل بين فئات المجتمع — علىَ كل أفراد المجتمع دون استثناء ، بل لابد من الحرص على ذلك ، وإلا اضطربت الحياة فى المجتمع ، وسادت الفوضى ، إذ يحاول كل من له نفوذ — من أى نوع كان — الهروب من تطبيق القوانين عليه ، ويسلك كل الطرق غير المشروعة لمنع تنفيذ القانون بالنسبة له ، بل إن بعضهم قد يتفاخر بأنه ليس من أولئك " الرعاع " الذين ينفذ عليهم القانون ، فهو معفى بجاهه وسلطانه وقربه من مصادر اتخاذ القرار من خضوعه لهذه القوانين التى ما وضعت إلا لتنفذ على الضعفاء الذين لا سند لهم ، ولا ظهر يحميهم من الرضوخ لهذه القوانين .

فإذا شاعت هذه الظاهرة فى المجتمع ، سرى الضعف إلى أوصاله ، فتفتت قواه ، وتناثرت أجزاؤه ، فلا يقوى على مجابهة الأخطار التى تواجهه ، ولا يصمد أمام العواصف والأنواء التى تعترض طريقه ، كما أنه لن يكون له من الإمكانات ما يؤهله لأن يأخذ مكانه بين المجتمعات التى تسهم فى بناء الحضارة ، وتسعى إلى التقدم والازدهار ، ولهذا حذر الرسول ﷺ من هذا المرض الفتاك الذى يصيب الأمة بالانهيار والفناء ، فقد روى أن امرأة من قريش سرقت ورفع أمرها إلى الرسول ﷺ ، فقال قومها : نحن نفديها بأربعين أوقية ، ورأوا أنه لا يقدر على الشفاعة لها عند رسول الله ﷺ إلا أسامة ، فأتوه وقالوا له : كلم رسول الله ﷺ ، فكلمه أسامة ، فقال رسول الله ﷺ : **" أتشفع فى حد من حدود الله "** ، ثم قام خطيباً ، فقال : **" إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله ! لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها . "** [٦٢]

٦ — التعليم : لما أراد الله ﷻ أن يجعل له خليفة فى الأرض قال للملائكة : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [البقرة : ٣٠]

---

[٦٢]) صحيح البخارى جـ ٣ صـ ١٢٨٢ رقم ٣٢٨٨

obeikandi.com

ويبدو من تعليق الملائكة على إخبار الله لهم ، بأنه سيجعل فى الأرض خليفة ، أنهم كانوا على علم ودراية بما يمكن أن يحدثه هذا المخلوق من فساد فى الأرض ، فلم ينف الله إمكان حدوث الفساد منه ، بل رد عليهم رداً له مغزى كبير فى مجال التربية الإنسانية ؛ ذلك أنه بين لهم أنه يعلم ما خفى علمه عليهم ، وهو أن التعليم والثقافة من العوامل التى يمكن أن تُحِدّ من هذا الفساد ، أو تقاومه ، فلا تترك له السيطرة الكاملة على حياة الإنسان ، يشير إلى ذلك قوله تعالى :

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [البقرة : ٣١ -٣٢].

فقد وضع تفوقه عليهم فى العلم رداً على اعتراضهم على خلقه ، بأنه سيفسد فى الأرض ، وتلك إشارة إلى أن العلم من شأنه أن يمنع الانحراف فى المجتمع ، ويقاوم الفساد فى الأرض ، فمهمته تقويم السلوك ، وتهذيب الأخلاق ، وهداية الإنسان إلى فعل ما يعود عليه وعلى المجتمع بالخير العام .

وليس بلازم — طبقاً لتجربة التاريخ الإنسانى — أن يقضى العلم على جميع صور الفساد فى المجتمعات التى بلغت شأواً كبيراً فى مجال العلوم والثقافة ، ولكنه — على الأقل — يحد منها ، أو يقضى على الصور الصارخة منه ، فلو قارنا بين شريحة متعلمة وأخرى لم تنل حظاً من التعليم ، لو جدنا أن معدل الفساد فى الثانية أعلى منه فى الأولى ، ولتبين لنا أنه حتى لو حدث الفساد فى الأولى ، فإن صوره تكون أكثر احتمالاً ، وأقل ضرراً من الفساد فى المجموعة الثانية .

فالتعليم من الأسس الهامة فى تكوين هوية المجتمعات ، فإذا كان صالحاً ومبنياً على أسس سليمة أسهم إلى حد كبير فى استقرار المجتمع وأمنه ، ولهذا تبذل الأمم جهداً كبيراً فى تثقيف أفرادها وتعليمهم حتى يصبحوا نواة صالحة لبناء مجتمعاتهم ، إذ يقاس رقى الأمم وتقدمها بما

تؤديه مدارسها وجامعاتها ومؤسساتها الثقافية فى مجال العلم والبحث والابتكار . ومما لاشك فيه أن أداء هذه المؤسسات يلعب دوراً كبيراً وفعالاً فى محاربة الجريمة ومحاصرتها فى أضيق الحدود الممكنة ، لأن العلم يتنافى – غالباً – مع الجريمة ، فكلما ازدهر العلم قلت معدلات الجريمة ، وتزداد وتيرتها فى المجتمعات التى لا تحظى بقسط وافر من التعليم ، فيسود الاضطراب ، وتعم الفوضى ، فتتعرض الأرواح للخطر ، والأموال للسلب والنهب ، وعندها يبحث الإنسان عن الأمن فلا يجده ، ويشوق إلى الاطمئنان فلا يصل إليه .

كذلك يقود العلم الإنسان إلى الصواب فى مجال العقيدة ، فلا يتخبط فى ظلمات الشرك ، ولا ينقاد لضلالات الدجالين والكهان ، فلا تؤثر فيه خرافات الأدعياء ، وشطحات المهووسين ، فتستقر نفسه بالتوحيد ، وتهدأ أعصابه فى رحاب الإيمان بالله ، ولهذا كانت أول آية نزلت من القرآن الكريم تحث على القراءة والتعلم : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥] العلق : ١ – ٥] ، لأن كثرة القراءة والتعلم هو السبيل الوحيد إلى الطريق المستقيم ، حيث يتخلص الإنسان من قيود الكهنة ، وضلالات رجال الدين ، ويتحرر من أهواء الكذابين والمضللين ، فيشعر بأنه سيد نفسه لا يخضع إلا لله ، ولا ينقاد إلا لأوامر السماء الصافية ، فتطمئن نفسه ، وتهدأ أعصابه ، فيستمتع بالأمن والأمان فى رحاب الإيمان بالله ، ويشعر بمتع الحياة وطيباتها فى ساحة التوحيد وآفاقه ، وذلك هو الأمن الحقيقى والاطمئنان الصافى من كل ما يعكر صفوه أو يهدد منابعه .

٧ – **الازدهار الاقتصادى** : يحتل المال مركزاً رئيسياً فى الحياة البشرية ، سواء كان ذلك على مستوى الفرد أم فى حياة المجتمع ، إذ يتوقف عليه النشاط الإنسان فى جميع مجالات الحياة ، وبه تدور عجلة تاريخ الأمم ، فمن لا ثروة نه ، فلا تاريخ له ، إذ به تقام الحضارات التى يسجلها تاريخ الأمم والشعوب ، وعليه تُشَيَّد امدنيات التى يفخر أصحابها بتدوينها فى صفحات تاريخهم ، وفى الوقت نفسه فهو مصدر لمعظم المآسى التى تصيب الإنسان ، ومصدر كثير من

الشقاء الذى يعانى منه الأفراد والجماعات ، سواء كان ذلك فى مشقة الحصول عليه ، أو فى كثرته كثرة تدفع إلى الفساد والطغيان .

فمن يُحْرَم منه ، ويعانى فى سبيل الحصول على قسط منه يقيم أوده ، ويحفظ عليه حياته ، فهو معذب فى حياته ، ومن يحصل على قسط وافر منه عن طريق غير مشروع فقد ظلم نفسه ، وذلك بإماتة الروح الإنسانية فى داخله ، إذ هو قد سلب الآخرين حقوقهم عن طريق الغش والخداع ، وبأسلوب يتنافى مع ما تقتضيه العدالة ، وتحتمه الفضيلة على الإنسان . كذلك من أنفقه فى وجوه غير مشروعة ، فهو يدمر نفسه ، ويعمل على انهيار مجتمعه .

ولهذا ركزت الأديان فى كثير من تعاليمها على تنظيم التعامل مع المال ، سواء فى الحصول عليه ، أم فى إنفاقه ، فجاءت الوصية فى الإسلام بأن يلتزم الإنسان بالأمانة فى التعامل مع الآخرين ، فلا يخدع أحداً ، ولا يظلمه ، سواء كان بائعاً ، أم مشترياً منه ، فإن لم يفعل ، فسينتظره عقاب أليم فى الآخرة ، يقول الله تعالى :

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ ﴾ [المطففين : ١ – ٥]

ويقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴿٢٩﴾ ﴾ [النساء : ٢٩]

كما توعد من يسيء استخدام المال استخداماً سيئاً بالعذاب الأليم ، فقال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ

﴿ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [التوبة : ٣٤ – ٣٥]

الإسلام دين ودنيا ، عبادة وعمل ، وتنظيم للحياة للاستمتاع بمحاسنها ووقاية من شرورها وآثامها ، وليس المفهوم من هذا التنظيم أن يشرح كل دقائقها ، ويبين تفاصيلها وأجزائها ، وإلا كان خاصاً بزمن معين ، ولمجتمع بذاته ، لأن حياة المجتمعات تتفق فى المبادئ العامة ، وتختلف فى التفصيلات والفروع ، كلٌ حسب بيئته ، وطبقاً لمقتضيات عصره ، فالعصور مختلفة والبيئات متفاوتة ، وطبيعة عناصر الحياة متطورة ومتجددة ، فلو حدد الإسلام الجزئيات وبيَّن الفروع لكان ذلك منافياً لفلسفة الحياة ، ومناقضاً لمتطلباتها المختلفة ، وآفاقها المتنوعة ، ولصار ذلك حجراً على العقول من أن تمارس قدرتها فى شرح المبادئ العامة التى صاغها الإسلام فى القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة . ومن أمثلة ذلك ما جاء فى آيتى التوبة ٣٤ ، ٣٥ ؛ ذلك أن المفسرين القدامى فسروهما على وجهين :

الأول : أن المقصود بالكنز هو عدم زكاة المال ، مستدلين على ذلك بالنصوص التالية :

قوله ﷺ : " **ما أدى زكاته فليس بكنز ، وإن كان باطناً ، وما بلغ أن يُزَكّى ولم يُزَكّ ، فهو كنز ، وإن كان ظاهراً** .

قال عمر بن الخطاب ﷺ : " ما أُديت زكاته فليس بكنز . "

وقال ابن عمر : " كل ما أُديت زكاته فليس بكنز ، وإن كان تحت سبع أرضين ، وكل ما لم تؤد زكاته فهو كنز ، وإن كان فوق الأرض ."

وقال جابر : " إذا أخرجت الصدقة من مالك ، فقد أذهبت عنه شره ، وليس بكنز . "

وقال ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣٤] ، يريد الذين لا يخرجون زكاة أموالهم .

خاطب الإسلام جميع الناس على اختلاف قدراتهم العقلية ، وتنوع أفكارهم الاجتماعية ، فكان صالحاً للخلق أجمعين على هذه الأرض ، مهما اختلفت ثقافاتهم ، وتنوعت نظم حياتهم ، وتباينت عاداتهم وتقاليدهم ، لأنه من العليم القدير ، العليم بقدرات خلقه الفكرية ، القدير على

صياغة الوحى بأسلوب يفهمه كل إنسان على وجه البسيطة ، فجاءت آيات القرآن الكريم على نحو صالح لكل الثقافات والبيئات ، فيفهمها ويفسرها ، ويستنتج منها أحكاماً تلائم عصره ، وتتوافق مع متطلبات بيئته ، وذلك هو قمة الإعجاز ، الذى انفرد به القرآن الكريم ، فقد فسر علماء العصر الإسلامى الأول آيتى التوبة ٣٤ ، ٣٥ على نحو يلائم عصرهم ، فذهبوا إلى أن المقصود بالكنز ، هو المال الذى لم تُؤَدَّ زكاته ، أو المال الزائد عن حاجة مالكه ، لقول العلماء السابقين : إن الله خلق الأموال ليتوسل بها إلى دفع الحاجات ، فإذا حصل للإنسان قدر ما يدفع حاجته ، ثم جمع الأموال الزائدة عليه ، فهو لا ينتفع بها لكونها زائدة على قدر حاجته ، ومنعها من الغير الذى يمكنه أن يدفع حاجته بها ، فكان هذا الإنسان بهذا المنع مانعاً من ظهور حكمته ، ومانعاً من وصول إحسانه إلى عبيده .

ومما لاشك فيه أن هذا القول مردود بعموم قوله تعالى : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، فإن ذلك يدل على أن ما اكتسبه الإنسان فهو حقه ، ولقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ ﴾ [محمد : ٣٦] ، وقوله ﷺ : " **كل امرئ أحق بكسبه** " ، بل إنه منع من أراد الوصية بماله كله من ذلك ، وأقره على الوصية بثلث ماله قائلاً له : " **والثلث كثير !!!**" [٦٣]

أما علماء العصر الحديث فلهم رأى آخر ، ألا وهو : أن الضمير فى " **ينفقونها** " عائد على جملة الذهب والفضة فى قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ ﴾ التى يملكها الإنسان ، إذ لا يجوز عود الضمير على بعض الذهب والفضة ، وهو الجزء المستحق للفقراء كـ " زكاة " ، ولم يرد فى الكتاب والسنة ما يوجب على المسلم أن ينفق كل ماله ، بل الذى ورد عكس ذلك ، فقد روى عن سعد بن مالك عن أبيه قال : عادنى النبى ﷺ عام حجه من مرض — أشفيت منه — أشرفت منه على الموت ، فقلت : يا رسول الله ! بلغ بى الوجع ما ترى ، وأنا ذو مال ، ولا يرثنى إلا ابنة واحدة ، أفأتصدق بثلثى مالى ؟ قال : " **لا !** "

---

[٦٣]) صحيح البخارى : جـ ٣ صـ ١٠٠٦ رقم ٢٥٩١

قلت : فأتصدق بشطره ؟ قال : " **لا!** " قال : " **الثلث ياسعد ، والثلث كثير ، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس ...** " [٦٤]

كذلك لا يتناسب العقاب الذى ورد فى الآية : ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾ مع الإثم الذى يرتكبه من لم يؤدى زكاة ماله ، فلم يرد ذلك صريحاً فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، ولا فيما استنتجه علماء الفقه الإسلامى منهما من أحكام ، وعليه فالعقاب الوارد فى الآية لابد أن يكون عقاباً على إثم يفوق إثم من لم يؤد زكاة ماله ، بل لابد أن يكون إثماً عظيماً يتعدى أثره أسرة ، أو مجموعة صغيرة من الناس يحتاجون إلى ما يسدون به رمقهم ، إثم يترتب عليه انهيار المجتمع ، وموت الحياة كلية . هذا هو الإثم الذى يستحق من يرتكبه هذا العقاب الأليم ، وهو ما يفهم من الآية ، عندما فسر العلماء فى العصر الحديث كلمة " ينفقونها " بـ"**يستثمرونها**"، إذ حجب المال عن الاستثمار بكنزه ، أى بوضعه فى الخزائن دون تركه يعمل فى الحركة الاقتصادية ، يشل حركة المجتمع ، ويوقف قلبه النابض ؛ إذ لو تصورنا — على سبيل المثال — أن كل من يملك مالاً وضعه فى خزائنه ، لمات الناس جوعاً ، بمن فيهم من يملك المال ، لأنه — وهم أيضاً — لن يجدوا ما يأكلونه ، إذ لا تكون هناك تجارة ، ولا زراعة ، ولا صناعة ، ولا أى عمل من أى نوع كان ، لأن حياة هذا كله هو المال ، ولما كان هذا هو وضع المال وأثره فى حياة الأمة ، كان جزاء من يمنعه من تأدية هذه الوظيفة : **أن تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم** ، لأن ذنبهم لم يقتصر على حرمان واحد أو اثنين مما يحتاجه فى حياته ، بل هو حرمان أمة بأسرها ، بل هو سبب فى موتها وهلاكها كلية .

وعليه فيجب على المسلم وجوباً عينياً أن يستثمر ماله فى التنمية ، أو يوكل غيره — كالبنوك مثلاً — إن كان لا يقدر على ذلك : فلا يمنع الأمة من الانتفاع بهذا المال ، وهذا هو المبدأ العام فى الفقه الإسلامى : " **المال ملكيته خاصة ، ومنفعته عامة** " ، أى أنه ملك خاص لصاحبه ، ولكن الأمة كلها تنتفع به ؛ فالعامل — أياً كان عمله — ينتفع به ، لأنه هيأ له عملاً

---

[٦٤]) صحيح البخارى :جـ ٣ صـ ٣٧٢

يعيش منه ، والزارع ينتفع به ، لأنه أتاح له الأرض الذى يفلحها ، والتاجر يجد ما يسد به حاجته وما يلزم أسرته من التجارة فى المنتج : زراعة وصناعة وغيرها من مناحى الإنتاج فى المجتمع ، بل إن التقدم العلمى الذى تعود نتائجه بالرخاء وتيسير مناحى الحياة كلها ، يقوم على استثمار المال فى البحوث العلمية التى تعمل على اكتشاف ما فى ظواهر الكون من عناصر لتسهيل حركة الحياة .

ولكى ينتفع المسلمون بمالهم يجب استثماره فى الأقطار الإسلامية ، فلا يجوز وضعه فى بنوك أجنبية ، أو استثماره فى بلد غير إسلامى إلا إذا كان فى ذلك جانب من جوانب منفعته تعود على المسلمين ، لأن الاستثمار فى بلاد غير إسلامية هو حرمان المسلمين من حقهم فى الانتفاع بمواردهم الاقتصادية ، فبلاد المسلمين فى حاجة ملحة إلى كل درهم للتنمية الاقتصادية ؛ إذ نسبة البطالة فى العالم الإسلامى مرتفعة جداً ، ومستوى المعيشة منخفض جداً ، ووسيلة علاج ذلك هو المزيد من الاستثمارات ، فإذا استثمر أصحاب الأموال أموالهم فى بلاد غير إسلامية ، استفحلت مشكلة البطالة فى الأقطار الإسلامية ، وتدهورت مستويات المعيشة ، مما يؤدى إلى ضعف المسلمين وانهيار حياتهم ، فلا يستطيعون رد غازٍ ، ولا يقوون على حماية بلادهم من الطامعين ، بل إنهم لن يكون فى وسعهم حماية عقيدتهم ، وعند ذلك يكون العقاب الذى تحدثت عنه الآية : ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [التوبة : ٣٥] موازياً لما ارتكبه أصحاب الأموال من الإثم فى حق شعوبهم الإسلامية .

فاستخدام المال فى التنمية يرفع مستوى المعيشة ، وكثرة الاستثمارات فى المجتمع عامل مهم فى ازدهار الحياة ؛ إذ يحصل الإنسان فى ظل الازدهار الاقتصادى على ما يحتاج إليه فى معيشته ، بل قد يصل إلى وفرة فى الغذاء ، وسهولة فى الحصول على مسكن ملائم يرتاح فيه مع أسرته ، وكساء يضفى عليه السعادة ، فترتاح نفسه ، ويطمئن قلبه ، وذلك هو الأمن والاطمئنان الذى تنشده الأفراد ، وتسعى إليه الأمم ليستقر النظام ويسود الأمن فى ربوع المجتمع .

٩ – البيئة : أصيب العالم بالهلع والفزع عندما انتشر خبر تسرب الإشعاعات النووية من محطة " تشرنوبل " ، وتراءت أمام أعين الناس ما رأوه من صور الهلاك والدمار من جراء إلقاء القنبلتين الذريتين على " هيروشيما " و" نجازاكى " فى نهاية الحرب العالمية الثانية ، وتصور البعض أنه سيصيبه ما أصاب سكان هاتين المدينتين ، وخاصة سكان المناطق القريبة من مصدر الإشعاع ، وامتنع كثير من الدول عن استيراد المواد الغذائية من المناطق المحيطة بهذه المحطة النووية ، خوفاً من انتقال ضرر الإشعاع النووى إلى شعوبها عن طريق هذه المنتوجات ، بل إن كثيراً من المفكرين والسياسيين نادوا بضرورة التخلص من المحطات النووية ، كى يطمئن الناس على حياتهم ، ويعيشوا فى أمن وسلام ، بعيداً عن احتمالات تكرار ما حدث فى " تشرنوبل " .

هذه الحالة تبين أن المحطات النووية تمثل مصدر رعب للناس ، فتجعلهم يعيشون فى قلق وتوتر ، خوفاً من تسرب الإشعاعات النووية من هذه المحطات ، التى يكفى ما فيها – حسب تقدير الخبراء – لتدمير العالم والقضاء على الحياة البشرية قضاء تامًّا ؛ إذ يردد علماء البيئة أنها تأتى على رأس ما يهدد حياة الإنسان ، وتدمير مظاهر الوجود على الكرة الأرضية ، بالإضافة إلى مصادر أخرى تمثل تحديات بيئية خطيرة مثل :

- انخفاض نصيب الفرد من الموارد المائية ، وفقد الأراضى الزراعية بسبب تدهورها من جراء الجفاف المتكرر ،
- والمشكلات الصحية المرتبطة بالتلوث ، ولاسيما فى المراكز الحضارية – وكذا فى المناطق العشوائية – حيث تنتشر النفايات المفتوحة فى البلديات ، واستخدام البترين الذى يحتوى على الرصاص فى أسطول سيارات قديمة رديئة الصنع ، والاستخدام السيء لأنواع لوقود لتوليد الكهرباء ، و انبعاثات أكسيد الكربون ، وانتشار الضوضاء المنبعث من مكبرات الصوت ، وأبواق السيارات ، وأجهزة الإذاعة أو التليفزيون ، وأصوات جمهرة الناس فى التجمعات ، وأصوات العويل ، والأصوات التى تصدر عن بعض الحيوانات .

إن قضية البيئة باتت اليوم تؤثر تأثيراً جليًّا على كل مناحى الحياة اليومية للإنسان بكل أبعادها السياسية والاقتصادية والثقافية والصحية ، وتُنْشَر حولها البحوث والكتب مناشدة الدول

سرعة اتخاذ الإجراءات اللازمة لحماية البيئة ، حتى يعيش الإنسان فى أمن وطمأنينة ، بعيداً عن الاضطرابات الصحية والهواجس النفسية التى تعكر عليه حياته من جراء الخوف على نفسه وأهله من تلوث البيئة . ولو عرفت البشرية ما جاء به الإسلام فى هذا الصدد لاستطاعت أن تسهم إسهاماً كبيراً فى حل هذه المشكلة ؛ فالإسلام يحرم على الإنسان أن يعمل عملاً يجلب الضرر على الآخرين ، حيث يقول الرسول ﷺ : " **المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**" [٦٥] ، فاليد التى تصنع ما يضر الآخر ، أو تتسبب فى فساد الماء والهواء هى يدٌ آثمة فى نظر الإسلام .

فللإسلام منظور شامل ، بل ومتكامل ومتميز لمفهوم البيئة وقضاياها المختلفة وطرق التعامل معها وحمايتها ، وذلك من خلال ما ورد فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، واجتهادات علماء المسلمين وفقهائهم ، وهى كثيرة كثرة لا تحتملها مساحة هذا البحث ، ولذلك سوف نقتصر على بيان بعض المبادئ العامة فى هذا المجال ؛ فاستخلاف الله للإنسان فى الأرض يتحقق بإقامة العدل ونشر الخير والصلاح فى البيئة التى يعيش فيها الإنسان ، فالأرض بما تحويه من عناصر بيئية مختلفة سخرها الله لننتفع بها ، يفرض الله علينا الالتزام بالسلوك السوى للتعامل معها ، وذلك بالحفاظ على خيراتها وعدم الاعتداء عليها بما يدمرها ، فقد نهى النبى ﷺ عن : التبول فى الماء الجارى حفاظاً عليه من التلوث ، فقال ﷺ : " **لا يبولن أحدكم فى الماء الدائم الذى لا يجرى ثم يغتسل فيه** " [٦٦] ، وقد اعتبر الإسلام التبرز فى الطريق سبباً للعن صاحبه فقد قال رسول الله ﷺ : " **اتقوا الملاعن الثلاث : البراز فى الموارد ، و قارعة الطريق ، و الظل .** " [٦٧] ، وفى حديث آخر : " **فإن ذلك يستوجب لعنة الله وملائكته والناس أجمعين .** "

كما حث على إزالة المخلفات بما فى ذلك القمامة من الطريق ، يقول الرسول ﷺ: " **إماطة الأذى عن الطريق صدقة** "

---

[٦٥]) صحيح البخارى جـ ١ صـ ١٣ رقم ١٠

[٦٦]) صحيح البخارى جـ ١ صـ ٩٤ رقم ٢٣٦

[٦٧]) المستدرك على الصحيحين جـ ١ صـ ٢٧٣ رقم ٥٩٤

وبهذا الحديث الكريم يتقرر مبدأ تحريم تلويث الطريق بصفة عامة ، كما يتضمن إلزاماً إيجابيًّا دينيًّا بإزالة سبب التلوث الذى يحدث أذى للناس فى طريقهم ، وهو ما ينصرف كذلك لكل المخلفات ، سواء كانت صناعية أو زراعية بتحريم إلقائها فى اليابسة أو الماء بما يسبب أذى للإنسان ، ويلزم الإسلام كذلك الإنسان برفع الأذى من موقعه . وهذا المبدأ فيه استجابة للقاعدة الشرعية (لا ضرر ولا ضرار فى الإسلام) ، وهو مبدأ من أصول العلاقات الاجتماعية فى الإسلام ، فكل ما يسبب ضرراً محرم شرعاً . [٦٨]

وقد بين الإسلام أن من واجبات المسلم إعمار الأرض ، والبعد عما يلحق الفساد فيها ، يقول تعالى : ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴿٦١﴾ ﴾ [هود : ٦١] ، وقال رسول الله ﷺ : " **لا يغرس المسلم غرساً ، ولا يزرع زرعاً فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا شيء إلا كانت له صدقة** . " [٦٩] ، وقال : " **من أحيا أرضاً ميتة فهى له** " [٧٠] ، وفى رواية : " **من أعمر عمرة فهى له ولعقبه من بعده** " [٧١] ، ومن مبادئ الحفاظ على البيئة أن رسول الله ﷺ نهى عن قطع شجرة يستظل بها الإنسان والحيوان ، واعتبر ذلك غشماً وظلماً كما فى الحديث الذى رواه أبوداود .

ومن هذا يتبين أن الحفاظ على البيئة بكل عناصرها من المبادئ الأساسية فى الإسلام ، فمن يعتدى عليها أو يهمل فى تنميتها يُعَدّ مفسداً فى الأرض ومهدداً لأمن حياة الإنسان فى المجتمع وسلامته ، لأنه يعرض الحياة كلها بصورة أو بأخرى للخطر .

١٠ – **الثقافة** : تطلق كلمة الثقافة فى اللغة ويراد بها عدة معان ، فقد ورد الاستعمال : ثقف الشيء ، تعلمه بسرعة ، وثقفت الشيء : حذقته . وفى الحديث : " **هو غلام لقن ثقف**" ، أى ذو فطنة وذكاء . والثقيف : الحاذق الفطن ، وتقول العرب : ثقفته ، أى ظفرت به ، ومنه

---

[٦٨]) إبراهيم على حسن : الإسلام والبيئة صـ ١٧ سلسلة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

[٦٩]) صحيح مسلم جـ ٣ صـ ١١٨٨ رقم ١٥٥٢

[٧٠]) صحيح البخارى جـ ٢ صـ ٨٢٣ رقم ١٣

[٧١]) مسند الطالبى جـ ١ صـ ٢٣٥ رقم ١٦٨٩

قوله تعالى : ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الأنفال : ٥٧] ، وتستعمل مادة ثقف ويراد بها أيضاً : المصادفة ، قال تعالى : ﴿ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ ﴾ [الأحزاب : ٦١] ، واستعملت كلمة الثقافة كاسم للأداة أو الحديدة التي تسوى بها الرماح ، فهي تدل على ما يُقَوَّم به الشيء ، وعليه فالتثقيف : هو التسوية والتقويم .هذا هو استعمالات كلمة الثقافة في اللغة ، ومنه يمكن أن تُفْهَم الثقافة على أنها التهذيب العقلي والتربية النفسية والخلقية والاجتماعية .

إن ثقافة الأمة :

- هي صورتها الحية ، فإن لم يُعْنَ بها ماتت وتلاشت من الوجود ، ولا مكان لأمة ميتة على سطح الكرة الأرضية .
- وهي التي تحدد ملامح شخصيتها ، فإن أهملت ضاعت شخصية الأمة ، وتبخرت معالمها ، فلا يكون لها في خريطة الشعوب هيئة تدل عليها ، ولا شكل ينبئ عن وجودها .
- وهي التي تضبط سيرها في الحياة ، وتحدد اتجاهها ، فإن فقدتها عصفت بها الأمواج في كل اتجاه ، وتقاذفتها الرياح في كل الطرق والمسالك والدروب ، فلا يعرف لها سبيل معين ، ولا طريق موصلة ، فهي تتخبط ذات اليمين وذات الشمال ، وتميل إلى الشرق تارة ، وإلى الغرب أخرى ، فترتبك أمورها وتضطرب شئونها ، فلا يستقر أبناؤها على حال ، ولا يربطهم خيط واحد ، فهم مضطربون ، ومتنافرون ، فيؤدي بهم ذلك إلى الذوبان في شعب آخر ، فيصبحون تاريخاً يقرأ ، وموعظة لكل من يفكر في إهمال ثقافته ، أو يتهاون في حراستها والدفاع عنها .

فإذا أردنا وضع الأولويات في منهج الثقافة الإسلامية التي يجب على الأمة أن تعيها وتعلمها لأبنائها ، فإن القرآن الكريم يمثل المقام الأول في سلسلة الأولويات الثقافية ، إذ هو

منهج الأمة ودستورها فى حياتها الخاصة والعامة ، وعلى أساسه تتميز شخصيتها بين الأمم ، وبه تعرف هويتها وشكلها وسط الخضم الهائل من الأشكال والأنماط البشرية .

ثم تليه : السنة النبوية ؛ إذ هى بمثابة المذكرة التفسيرية للقرآن الكريم ، تفصل مجمله ، وتوضح ما غمض منه ، وتشرح ما استغلق فهمه واستعصى معرفة المراد منه ، فتتضح معالم الطريق أمامنا ، وتتحدد اتجاهاتنا ، فلا نتخبط يميناً أو يساراً .

كذلك يجب علينا العناية باللغة ، لأنها مقوم هام ، وأصل من أصول الثقافة الإسلامية ، إذ بها نزل القرآن الكريم ، وفى وعائها حُفِظ الحديث ، وصيغت العلوم والفكر الإسلامى ، وفضلاً عن هذا فهى من أهم مقومات وحدة الأمة ، إذ هى وسيلة التفاهم والالتقاء الفكرى والنفسى .

كما ينبغى ألا تنسى الأمة تاريخها ، فدوره كبير فى بناء شخصيتها ، إذ تتخذ منه المثل العليا ، وتستأنس به الشعوب فى تكوين حاضرها وبناء مستقبلها ، فهو بمثابة المدرسة التى يتعلم فيها القادة فن القيادة ، والسياسيون فن السياسة ، والعسكريون فن الاستراتيجيات فى مواجهة الأعداء ، بل إن كل ذى حرفة وفن وصناعة يستطيع أن يتعلم من تاريخه ما يبعث فيه الهمم ، ويوقظ العزائم ، ويرفع المعنويات ، ويغرس الثقة فى نفسه ، فينطلق فى طريق البناء والتقدم .

ولهذا كان التاريخ الإسلامى هدفاً لسهام الأعداء ، وطعن الطاعنين ، فهو من المجالات التى وجه لها نصيب وافر من حملات الافتراء والتشويه ، لأنه أحد الجوانب التطبيقية والصور العملية للإسلام . فدراسة التاريخ هى دراسة الإسلام من الناحية التطبيقية ، وهو دراسة للذين أخلصوا له ، ولمن أساءوا إليه باسمه ، من خارجه أو داخله ، وكشفٌ لوسائلهم . وليس المقصود من دراسة التاريخ الإسلامى أن تقتصر معرفتنا على الجانب السياسى فقط ، بل يجب أن تشمل الدراسة كل ما أنتجه الفكر الإسلامى فى جميع مجالات الحياة الفكرية والعملية ، سواء كان ذلك فى داخل المجتمع الإسلامى ، أو مع غيره من المجتمعات ، سلماً أم حرباً . فإن قامت ثقافة الأمة على هذه الأسس امتدت جذورها فى باطن أرضها ، فلا تستطيع رياح الثقافة الأجنبية اقتلاعها أو خلخلتها ، وثبتت أركان بنائها أمام كل العواصف التى تهب عليها ، فلا تذوب شخصيتها ، ولا تتميع هويتها ، فتظل كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها .

وعليه فإن الإسلام هو صاحب الفضل الأول والأساسى فى الشكل الثقافى للأمة ، فهو يشكل المنطلق والمعايير والغاية التى على ضوئها يتم التعامل مع مفردات الثقافات المختلفة ، وفى ذات الوقت هو الدافع الرئيسى للنشاط الإنسان فى مجال خدمة الأمة أفراداً ومجتمعاً ، ومن ثم فالمقومات الفكرية للأمن الثقافى تتمثل فى الإسلام بتعاليمه وأحكامه ومضامينه الثقافية والاجتماعية ، وهى مقومات لا تتوافر لدى جميع الفلسفات والأديان الأخرى ، أو على الأقل لدى الكثير منها . ولما كانت هذا هو وضع الثقافة الإسلامية فهى تلعب دوراً كبيراً وهاماً فى تحقيق الأمن للفرد والجماعة ، ويتحقق هذا الأمن بالحفاظ على عموميات وخصوصيات ثقافة الأمة فى أبعادها ومجالاتها ومظاهرها وتعبيراتها المختلفة ، لأن إضعاف هذه الثقافة ، أو عدم تمكنها من النمو والازدهار ، هو إسهام مع العدو وأيديولوجيته فى العمل على تقويض تعاليم الإسلام ، وبالتالى تحطيم المجتمع المسلم .

إن الاهتمام بالثقافة ينمى الشعور بالهوية لدى الأفراد ، ويحمى المجتمع من التشرذم والانحلال ، فيقوى بذلك تماسكه ، وتساند أفراده ؛ إذ يحمى بعضهم بعضاً من غلواء الزمن ، وشرور الأيام و الليالى ، كما أنها — أى الثقافة — تؤمن المجتمع وتحافظ عليه من استشراء الفساد الأخلاقى ، فلا تسمح للأمراض الاجتماعية من تجاوز الحدود المألوفة فى المجتمعات الإنسانية ، كالاتصال الجنسى — على سبيل المثال — بكل أنواعه ؛ إذ لا يخلو منه مجتمع ، فهولا يهدد البناء الاجتماعى ما دام فى الحدود الفردية ، أما إذا تجاوزها وأصبح ظاهرة عامة ، فإن خطره شديد على العلاقات الاجتماعية ، وأثره كبير فى تهديد أمن المجتمع وسلامته . كذلك تحمى الثقافة المجتمع من الأمراض الأخرى كالفساد بجميع صوره ، والعشوائية فى أسلوب الحياة ، وعلاقة الأفراد بعضهم ببعض ، كما تحميه من انتشار اللامبالاة ، والكسل ، والإهمال فى مجال أنشطة الحياة المختلفة .

١١ — العقل : ولا تؤتى الثقافة ثمارها الإيجابية فى أمن المجتمع ، إلا إذا كانت من إفرازات العقل الذى فضل الله به الإنسان على سائر الكائنات الحية ، إذ من أبرز مظاهر تكريم الله له فى هذا المجال منحه قوة التفكير ، ذلك أنها من الخصائص التى تميز بها الإنسان على سائر الكائنات المخلوقة على سطح هذه الأرض ، فبها استطاع أن يتغلب على ما حوله ويسخره له ،

مهما كانت جسمه وصلابة عضلاته ، إذ بواسطة العقل استطاع الإنسان أن يخضع كل حى له ، ويسخر كل مافى الطبيعة لخدمته ، فهو المفتاح الذى منحه الله لبنى آدم ليفتحوا به آفاق المجهول والمصباح الذى أعطاه الله للإنسان لينير به طريق الحياة ، والآلة التى منحها الله لمن فضله من الكائنات الحية — وهو الإنسان — ليستخدمها فى الكشف عن أسرار الطبيعة ، والقوة المدركة التى وهبها الله للإنسان ليصل بها إلى إدراك الإبداع فى الكون والدقة فى الخلق ، فيعرف بذلك مَنْ أبدع فأحسن التكوين ، وخلق كل شيء فى أحسن تقويم .

ولهذا جاءت آيات كثيرة فى القرآن الكريم تحث الإنسان على التفكير فى نفسه وفى كيفية خلقه ، وتوضح له أن وظيفة العقل هى التفكير ، الذى يقود صاحبه إلى الهداية وإلى معرفة الواحد القهار ، وإلى الوقوف على أسرار ما حوله من مظاهر الطبيعة ، وتنوع التعبير عن هذه القوة المدركة فى الإنسان ، فجاء الحديث عنها مرة بالتفكير ، وتارة : بالتعقل ، وأخرى : بالتفقه . فلو تتبعنا الآيات التى تحدثت عنها بكلمة " التفكر " ومشتقاتها اللغوية لوجدنا أن القرآن الكريم ذكر هذه المادة فى سبع عشرة آية منها ما يحث على التفكير فى آيات الله ، كقوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ [البقرة : ٢١٩] ، وما يدعو إلى التفكير فى النفس ، كقوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ ﴿٨﴾ ﴾ [الروم : ٨] ، وما يوجه الإنسان إلى التفكر فى خلق السموات والأرض ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران : ١٩٠-١٩١] ، وفى مظاهر الحياة حوله ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ

قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [يونس : ٢٤] .

كما أن منها ما ينفى المساواة بين من يعطل هذه القوة ، ومن يستخدمها فيما خلقت له ، يقول تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر : ٩] ، كذلك كرر القرآن الكريم كلمة (العقل) ومشتقاتها اللغوية ، لحث الإنسان على عدم تعطيل ما أنعم الله به عليه ، فجاءت فى أكثر من أربعين آية ، منها قوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [البقرة : ٧٣] ، وقوله : ﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [الأنعام : ١٥١] ، وقوله : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة : ١٦٤] . و " التعقل " و" التفكر " : وظيفتان للقوة المدركة فى الإنسان ، لا يجوز له أن يهملها ، وإلا كان معطلاً لما يميزه عن الحيوان ، إذ ليس هناك فرق حيوى بينهما سوى هذه القوة ، فإذا لم تمارس فيما خلقت له أصبح الإنسان كالأنعام ، يقول تعالى : ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الفرقان : ٤٤] ، و لم يقتصر القرآن الكريم على دعوة الإنسان إلى التفكير فى نفسه وفيما حوله وتعقله ، بل خطا خطوة أبعد منهما ، فحث الإنسان على " التفقه " وهو أبعد مدى من التفكير ، إذ من يصل إليه يكون أكثر وعياً لما يحيط به ، وأعمق إدراكاً لأبعاد وجوده وروابط الكائنات الحية حوله ، كما يجعله منفتح البصيرة

دائماً ، وعلى استعداد للحوار البناء ، الذى يؤدى إلى نتائج تعود بالنفع عليه فى جميع مجالات حياته ، حيث ترفرف عليه أجنحة الأمن والأمان فى حاضره ومستقبله ، ولهذا وصف الله بما من يصل بعقله إلى إدراك أغوار ما يعرض عليه ، يقول تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الأنعام : ٩٨] ، ويقول : ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الأنعام : ٦٥] ، بل ذم من لم يفعل ذلك وتوعده بسوء المصير ، يقول تعالى : ﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ ﴾ [النساء : ٧٨] ، ويقول : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف : ١٧٩] .

فهذه جوانب ثلاثة للقوة المدركة فى الإنسان ، ينبغى عليه دينياً ألا تفارقه ولا يفارقها ، وإلا كان مقصراً فى مهمته لهذه الحياة ، ولاشك أن مثل هذا التقصير يعوق تقدمه ، فيودى به فى أودية التخلف والانحطاط الذى لا يرضاه الله ، بل سوف يحاسبه يوم القيامة على إهماله لوظيفة العقل مما أودى به إلى قاع التخلف ، حيث يتحكم فيه أعداؤه الثلاثة : **الجهل والفقر والمرض** ، وهى ثلاثية تهدد أمن الفرد والمجتمع ، ولا يبرأ منها إلا باستخدام العقل فى مجالات الحياة المختلفة بأسلوب يتفق مع تعاليم الإسلام وأحكامه التى أوصت بالحفاظ على العقل ، وتنمية وظائفه فى إطار يؤمِّن الفرد والمجتمع ، فيحد من الشطحات الفكرية ، والتصورات الذهنية المدمرة .

إن أسس الأمن فى المجتمع كثيرة ومتشعبة تشعب الحياة الإنسانية ، وقد اقتصرنا فى العرض على أهمها وأبلغها أثراً فى حياة الفرد والجماعة . ونظرة فاحصة إلى هذه الأسس توضح لنا أن

من بينها ثلاثة أسس تعتبر الركيزة الأساسية لأمن المجتمع ، كما أنها لو تحققت فى حياة شعب من الشعوب لأثرت تأثيراً كبيراً فى وجود ودعم الأسس الأخرى ، بل إنها تعتبر المفتاح أو البوابة التى تساعد على تحقيق جميع عناصر الأمن والاستقرار للفرد والمجتمع ، فهى – أى الأسس الثلاثة – بمثابة الأساس للحياة الإنسانية ، والركيزة التى ترتكز عليها جميع مناحى الحياة ، تلك الأسس الثلاثة هى : **الإيمان** ، **والعقل** ، والثقافة ، ذلك أن **الإيمان** يوجه الإنسان إلى الخير ويبعده عن الشر ، **والعقل** يضبط السلوك ، والثقافة تهذبه . فإذا أردنا إصلاح الفرد والمجتمع ، فيجب علينا أن نعنى أولاً بغرس الإيمان فى نفوس الأفراد ، وتقوية العلاقة بينهم وبين الله حتى يكون ذلك حارساً يمنعهم من الانحراف ، ثم نبين لهم وظيفة العقل فى الحياة ، فلا تناقض بينه وبين الإيمان ، فبواسطته يتوصل الإنسان إلى معرفة الله ، و به يفهم ما يلقى عليه من أوامره ونواهيه ، كما أنه يساعد الإنسان على التفكر ، والتدبر ، والبحث ، والإبداع ، كى يبنى حياة طيبة لنفسه ولأمته . أما الثقافة فهى لتهذيب السلوك وتقويمه ، حتى لا ينحرف الإنسان إلى ما يدمر حياته ، أو يهدد أمنه و استقراره .